

التأثيرات الفنية المتبادلة بين صور المخطوطات القبطية والإسلامية بمصر (دراسة نقدية مقارنة)

تعتبر المخطوطات الإسلامية علامة هامة في تاريخ تطور البشرية بما تحفل به من جوانب فكرية متنوعة علمية، أدبية، وفنية أيضاً حيث كانت فنون الكتابة من أكثر المجالات خصوبة لنشاط الفنانين وإبراز مواهبهم وإبداعاتهم الفنية سواء كان ذلك في رسم المنمنمات أم الخط أم التجليد أم التذهيب أم غيره. وإذا كان للمخطوط عامة أهميته العلمية والاجتماعية فإن للمخطوط ذى التصاوير نفس الأهمية بالإضافة إلى قيمة ما به من تصاوير قد تكون توضيحاً للمتن أو شرحاً بالشكل، مما لا يمكن شرحه بالكلمة أو تذكراً أو وسيلة للتجميل أو للترويح عن النفس أو التسلية، وفوق ذلك قد تكون أعمالاً فنية لها مغزاها الجمالى والعلمى والاجتماعى والتاريخى والوثائقى.

وقد بلغ من عناية المسلمين بفن تصوير المخطوطات اتجاههم إلى نسخ المخطوطات القبطية المصورة، فقد ورد فى المصادر التاريخية معلومات صريحة عن العدد الهائل من المخطوطات القبطية المزينة بالصور الفاخرة التى أنجزت فى العهد الفاطمى بمصر، ومما لاشك فيه استمر نشاط الخطاطين والمصورين فى نسخ المخطوطات القبطية وتزيينها بالصور فى مصر خلال العصور الإسلامية المتعاقبة على حكم مصر. وهو ما يعنى وجود تأثيرات فنية وبيئية متبادلة بين صور المخطوطات القبطية والإسلامية بمصر. وخاصة أن مصر تحتل المرتبة الثالثة بين الدول الأكثر امتلاكاً للمخطوطات الإسلامية فى العالم بعد تركيا وإيران، أما بالنسبة للمخطوطات القبطية فتحتفظ مصر بالعديد منها فى قسم المخطوطات بمكتبة ومتحف الفن القبطى، والدار البطريركية بالقاهرة، وبعض الكنائس القديمة والأديرة.

وبالرغم من هذا الكم الهائل من المخطوطات التى تزخر بها المكتبات ومراكز المخطوطات بمصر، نفتقد وجود دراسات فنية متخصصة تناولت دراسة الأسس الفنية لصور المخطوطات القبطية وماهية التأثيرات الفنية المتبادلة بين صور المخطوطات الإسلامية والقبطية بمصر، حيث اقتصرت البحوث السابقة على دراسة الخصائص الفنية لمدارس تصوير المخطوطات الإسلامية، أو أثر الفنون الإسلامية على التصوير الغربى لكنها لم تتطرق إلى التأثيرات المحلية المتبادلة فى الثقافات الشرقية أو فى ضوء المنظورات المعرفية الأخرى لنفس الموضوع ك مجال تصوير المخطوطات القبطية والإسلامية.

بناءً على ذلك يمكن تحديد مشكلة البحث فى التساؤل الآتى:

١- ما هى السمات الفنية والجمالية المميزة لصور المخطوطات القبطية والإسلامية بمصر؟

٢- ما هى التأثيرات الفنية المتبادلة بين صور المخطوطات القبطية والإسلامية بمصر؟

فرض البحث:

١- إن توصيف وتحليل مختارات من صور المخطوطات القبطية والإسلامية بمصر، يمكن أن يكشف عن سماتها الفنية والجمالية، والتأثيرات الفنية المتبادلة بينهم.

أهداف البحث:

- ١- الدراسة التاريخية والفنية لصور المخطوطات القبطية والإسلامية بمصر.
- ٢- الكشف عن الارتباط الفني القائم بين صور المخطوطات القبطية والإسلامية بمصر، وذلك للكشف عن التأثيرات الفنية المتبادلة بينهم.

أهمية البحث:

- ١- إلقاء الضوء على فن تصوير المخطوطات القبطية كأحد المجالات الفنية التي لم تدرس بعد.
- ٢- فتح مجال البحث والدراسة في تطور تاريخ المخطوطات بمصر على وجه التحديد، مما يساهم في تأصيل التراث القومي، ويؤكد الاهتمامات المحلية بدراسة فنون المخطوطات كأحد مجالات الفنون الإسلامية التي أسهمت في إثراء مجالات المعرفة والفنون في الحضارات والثقافات المعاصرة لها.

نتائج البحث:

أمكن للباحثة التوصل إلى مجموعة النتائج التي تمثل السمات الفنية والبيئية المتبادلة بينهم وذلك كالتالي:

١. الإحياءات الجسدية:

تميزت صور المخطوطات القبطية بمصر ورسوم المدرسة العربية بسمة تعبيرية تمثلت في استخدام اتجاهات نظرة الأعين وإشارات الأيدي لتوضيح وتعميق التواصل والتفاعل بين جموع البشر في المشهد الواحد حيث يتضح في رسوم الواسطي رائد المدرسة العربية على سبيل المثال التعبيرية التي لا تصدق، فنراه يشرح الانفعالات النفسية بطريقة يستطيع المشاهد أن يفهم الجو المسيطر في التصوير وبحق وصفت العيون الناطقة ودعيت الصابع بالأصابع المتكلمة.



التعبير باستخدام إشارات وحركات الأيدي والإيماءات من مخطوط الأربع بشارت



التعبير باستخدام إشارات وحركات الأيدي والإيماءات من مخطوط كليلة ودمنة

يتضح من خلالها التعبير باستخدام الإحياءات الجسدية في كلا من المخطوط الإسلامي والقبطي

٢. الطابع الزخرفي:

مالت رسوم المخطوطات الإسلامية بمصر نحو استخدام الأسلوب الزخرفي في رسم النباتات والأزهار وسيقان الأشجار، وأيضاً في رسم طيات الملابس على هيئة خطوط هندسية أو زخارف نباتية مورقة والمعروفة باسم "الأرابيسك" أو من خلال رسم خطوط مناسبة أو متكرسة تشبه أمواج البحر، وهو ما اتضح في أسلوب رسم العناصر النباتية وطيات الملابس وأمواج المياه والصخور في صور المخطوطات القبطية.



رسم لمجموعة من الأسماك داخل مياه النهر من مخطوط الأربع بشائر رسم لمجموعة من الأسماك داخل مياه النهر من مخطوط مقامات الحريري يتضح من خلالهما التشابه في استخدام الخطوط العضوية المتموجة للتعبير عن المياه والشفافية لإبراز الأسماك



رسم لمجموعة من الكتل صخرية من مخطوط كليلة ودمنة



رسم لمجموعة من الكتل صخرية من مخطوط الأربع بشائر

يتضح من خلالهما التقارب والتشابه في التقارب في أسلوب رسم الكتل الصخرية بالمخطوط القبطي والإسلامي



تفصيل يوضح ثياب الرجل الغنى من المخطوط القبطي يليه (برزويه) ثم (ابراخت) زوجة الملك (بلاذ) من مخطوط كليلة ودمنة ويتضح منها تأثر الفنان القبطي الشديد والمباشر بزخارف "الأرابيسك" والتوريق العربي المميزة للفنون الإسلامية



رسم لعناصر نباتية من مخطوط كليلة ودمنة رسم لعناصر نباتية من مخطوط الأربع بشائر يتضح من خلالهما التقارب في أسلوب رسم الوريدات، وتمثيل الأفرع النباتية والتماثل بصليبة الشكل في كلا من المخطوط القبطي والإسلامي

٣. خط الأرض:

ظهر خط الأرض في صور المخطوطات القبطية والإسلامية بمصر على هيئة شريط مستقيم يتفرع منه أوراق نباتية صغيرة أو أشجيرات محورة، أو أفرع صغيرة.



طريقة تمثيل خط الأرض على هيئة شريط يتفرع منه أوراق نباتية صغيرة في تفصيل من صورة بمخطوط كليلة ودمنة بأعلى يليه تفصيل من صورة بمخطوط الأربع بشائر

٤. إطار الصورة:

لا يوجد إطار خارجي يحدد ويحيط بالصورة فيفصل بينها وبين متن المخطوط القبطي والإسلامي بمصر.

٥. رسم الهالات:

ظهر في صور المخطوطات الإسلامية بمصر والتي تنتمي إلى تقاليد المدرسة العربية رسم الهالات حول رؤوس الأشخاص والطيور، وذلك بغرض التزيين وجذب انتباه المشاهد إلى هذه الرسوم ولكن ليس بغرض التقديس مثلما يتضح في الفنون المسيحية القبطية والبيزنطية.



رسم الهالات حول رؤوس القديسين من مخطوط الأربع بشائر
رسم الهالات حول رؤوس الأشخاص من مخطوط كليلة ودمنة
يتضح من خلالها تأثر الفنان الإسلامي بالأساليب الفنية المسيحية من خلال رسمه للهالات كعنصر زخرفي

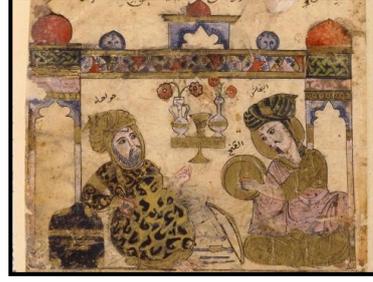
٦. البساطة وعدم التعقيد:

يتضح في صور المخطوطات القبطية والإسلامية تخلي الفنان عن قواعد المنظور مع عدم التعبير عن العمق والتجسيم و البعد عن محاكاة الطبيعة الواقعية بدقة بهدف البحث عن عمق آخر غير العمق المنظوري وهو العمق الروحي.

٧. معالجة الفراغ:

تخلو خلفية صور المخطوطات القبطية والإسلامية من التفاصيل الكثيرة فهي تخلو من أية عمائر أو أي مظهر من المظاهر التي تمثل البيئة أو مسرح الحوادث. وإن وجدت عمائر فقد اتسم أسلوب رسمها بالبساطة،

وباستخدام الطريقة التخطيطية من خلال الرمز للعنصر المعماري بأوضح صفة مميزة ودالة على مظهره فهي عمارة رمزية أكثر منها حقيقية.



رسم لمفردات معمارية (قبة، شخشيخة، عقد، إزار مزخرف) من رسم لمفردات معمارية (أعمدة بتيجان مزخرفة، قبة، مذبح) من مخطوط كلية ودمنة مخطوط الأربع بشائر
بنضح من خلالها البساطة وقلة التفاصيل في رسوم العناصر المعمارية في كلا من المخطوط القبطي والإسلامي

توصيات البحث:

١. تقديم المزيد من البحوث والدراسات المتعلقة بعلم الجمال من منظور إسلامي وتطبيقاته على مجالات الفنون الإسلامية في عصور مختلفة للتوصل إلى أحكام نقدية سليمة بناءً على المعايير والقيم الجمالية الخاصة بالفن الإسلامي وليس من منظورات أخرى غربية.
٢. إجراء مزيد من البحوث لدراسة السمات والخصائص الفنية والجمالية لصور المخطوطات القبطية والبيزنطية أيضاً وعلاقتها بفنون التصوير الإسلامية المعاصرة لها حيث لم يحظ هذا المجال الفني بالاهتمام من قبل الباحثين ونقاد الفن التشكيلي.
٣. إعداد مشروع قومي لتسجيل وتوثيق وتأريخ المخطوطات الإسلامية والقبطية المصورة والمحافظة في العديد من المتاحف والمكتبات بمصر والعالم مما يصعب دراسته وتناوله على المستوى الفردي.
٤. عقد دراسات مقارنة بين فنون الحضارات القديمة في مصر والعالم للتوصل إلى المتشابهات والمتناقضات وعلاقات التأثير والتأثر المتبادلة بينهم.